الرئيسية > ثقافة

شاعر الانفصاليين...هل يُكشف مَن استهدف "بدوي الجبل" بدمشق؟

علي سفر | الثلاثاء 2025/08/19



البدوي مع أحفاده

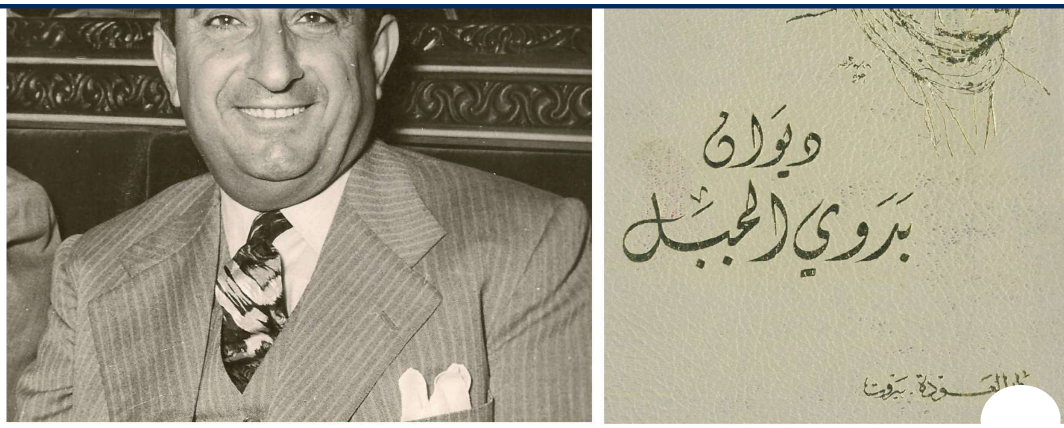
مشاركة عبر

حجم الخط

منذ 44 سنة، توفي الشاعر السوري محمد سليمان الأحمد، المعروف بـ"بدوي الجبل" (1904-1981)، وتقول الأخبار إنه قضى بعد معاناة مع الأمراض، وأن جنازته اقتصرت على عدد بسيط من أفراد العائلة والمقربين منها. ورغم أن سيرة الرجل تقتصر عادة على الحديث عن كونه شاعرًا كبيرًا أسهم في تعزيز المخزون الشعري الكلاسيكي العربي، ورفع الذائقة لدى قراء العربية في القرن العشرين بموازاة تتالي الأنماط الشعرية خلال عقود ثلاث، من الأربعينيات إلى الستينيات، إلا أن حكاية البدوي تبقى ملفتة وغامضة في نهاياتها، من بوابة فتحتها إحدى قصائده، وقادته- حسبما يقال - إلى حتفه!

القصيدة التي نتحدث عنها هي تلك التي أطلقها في وجه حكّام سوريا البعثيين بعد هزيمة الخامس من حزيران، وحملت عنوان "من وحي الهزيمة"، ويقول فيها:

جبن القادة الكبار وفرّوا
وبكى للفرار جيش جسور
تركوه فوضى إلى الدور، فيحاء،
لقد ضمّت المساء الخدور!
هُزم الحاكمون والشعب في
الأصفاد، فالحكم وحده المكسور
هُزم الحاكمون. لم يحزن الشعب
عليهم، ولا انتخى الجمهور
يستجيرون! والكريم لدى الغمرة
يلقى الردى ولا يستجير!



غير أن لغة البدوي السلسة لم تمنع نفحات الغضب الهائلة التي عبّر عنها في أبيات القصيدة من أن تصل إلى الجمهور العريض، فاشتهرت القصيدة بوصفها احتجاجًا على الضباط البعثيين الذين استباحوا البلد بطولها وعرضها، وحولوا الدولة ساحة فساد وصراعات في ما بينهم، بينما انهارت معيشة السوريين الذين واجهوا سلطة تسومهم الذل والمهانة.

ردّ الفعل على قصيدة البدوي لم يتأخر، إذ أقدمت حفنة من المجرمين على اختطافه من أحد شوارع دمشق، بعدما اعتدوا عليه بعنف، إذ ضُرب بأنبوب معدني على رأسه ضربًا شديدًا، وكأنما كان القصد قتله أو التسبب له بعاهة! وأخفت العصابة الشاعر المصاب لأيام، قبل أن ترميه في الشارع، حيث تم إسعافه، ومن بعد ذلك اختفى من الحياة الثقافية السورية حتى وفاته.

تفاصيل الجريمة التي ارتُكبت بحق البدوي ظلت مبهمة حتى اللحظة، لكن أصابع الاتهام تتوجه إلى مجموعة من رجال الأمن التابعين للسلطة البعثية، من دون تحديد إلى أي جناح من الأجنحة المتصارعة يوالون. لكن يُقال بأن إطلاق سراحه لم يتم إلا بتدخل من حافظ الأسد الذي كان وزير الدفاع آنذاك، ولم يُعرف إن كانت الأجهزة المتخصصة قد فتحت تحقيقًا بالجريمة التي استهدفت واحدًا من أبرز الوجوه الثقافية والسياسية طيلة عهد الاستقلال



اليوم، يبدو أن العثور على خيط واضح يكشف المتورطين في هذه الجريمة صار صعبًا جدًا، إذ أن هذه الجريمة تبدو بسيطة أمام الجرائم الكبرى التي نفذها البعثيون الأسديون ضد الشعب السوري عمومًا وليس فقط ضد نخبه المؤثرة. لكن استهداف النظام لعائلة البدوي لم يتوقف، إذ اعتُقل المذيع منير الأحمد، ابن البدوي، ومات في السجن في أوائل تسعينيات القرن الماضي، بالإضافة إلى أخيه أحمد سليمان الأحمد الذي عُثر عليه ميتًا في بلغاريا العام 1993. الأمر الذي يوحي بأن الأسديين هم المسؤولون عما جرى، وفيما تُروى قصص غير مؤكدة عن مصائر مبهمة لآخرين من العائلة، استوزر بشار الأسد واحدًا من أفرادها في إحدى حكوماته خلال فترة الثورة، والمقصود هنا حفيد البدوي الناقد السينمائي محمد الأحمد.

تَذَكُّر بدوي الجبل، مهمّ هذه الأيام، أولًا من أجل فتح ملف محاولة اغتياله بعدما تحررت البلاد من حكم الجلاوزة الذين عرّض بهم في قصيدته الشهيرة "وإني لأشمت بالجبارين" وقال فيها:

يا سامر الحيّ هل تعنيك شكوانا

آمنت بالحقد يذكي من عزائمنا
وأبعد اللّه إشفاقًا وتحنانا
ويل الشعوب التي لم تسقُ من دمها
ثاراتها الحمر أحقادًا وأضغانا
ترنّح السوط في يمنى معذّبها
ريّان من دمها المسفوح سكرانا
تُغضي على الذلّ غفرانًا لظالمها
تأنّق الذلّ حتى صار غفرانا

وثانياً، فإن الحديث هذه الأيام عن انفصال السويداء، وكذلك المشاريع التي تهدف إلى تفكيك سوريا إلى أقاليم مبعثرة، تضع البدوي في الواجهة، لا سيما أنه في حمأة شبابه ونضاله ضد المحتلين، بعدما مدحهم في البداية، كان من دعاة انفصال الساحل السوري عن سوريا والمضي نحو الاستقلال. وقد اشتهرت مواقفه بين الأوساط السياسية بعدما فُتح المجال لتوقيع معاهدة العام 1936 بين سوريا وفرنسا، إذ تفجر صراع كبير بين النخب في دولة العلويين التي شكّلها الانتداب، واقسمت ضمنه المواقف بين مؤيد للبقاء على الحال المكرّس أو إعلان الانضمام إلى سوريا.

وفي الوثيقة الشهيرة المتداولة، الموقّعة من زعماء علويين، والموجهة إلى فرنسا من أجل الإبقاء على دولة العلويين وعدم إلحاقها بسوريا وفق بنود المعاهدة، يظهر اسم محمد سليمان الأحمد. لكن هزيمة هذا التيار الذي سُمّي بحزب الانفصاليين، جاءت على أيدي نخب شبابية رأت بأن مصير الجماعة لا يمكن أن يتكرّس بعيدًا من الوطن الأكبر سوريا. وهنا مفارقة، إذ اشتهر البدوي بأنه استمد الدعم من هذه الفئات، فقد جاء في مراجع عديدة قوله في سبيل تدعيم خياره" :إن العلويين لم يذوقوا طعم الحرية إلا في هذا الوضع الحاضر، وما من فتى أو فتاة علوية إلا وتجد اسم فرنسا على شفتيه، وإن الحالة الحاضرة هي المثل الأعلى".

طرطوس الذي عُقد في أوائل العام 1936، يظهر أن النقاش كان حادًا بين الشباب الوحدوي وبين الانفصاليين والذين كان على رأسهم بدوي الجبل. وتحت عنوان "مؤتمر العلويين لتقرير موقفهم من الانفصال والوحدة: بدوي الجبل يحاول تطويق المؤتمر لتقرير الانفصال، الشباب يُحبطون مساعيه – فشل المؤتمر"، كتب المراسل تفاصيل عن النقاش الحاصل آنذاك، والذي أفصح عن قوة التيار الوحدوي أمام تداعي حجة الآخرين، إذ شكك البعض بإمكانية الحفاظ على حقوق العلويين، وأثبتت تجربة الدويلة المستقلة فشلاً واضحًا ـ بحسب جزء كبير من الحاضرين ـ وقد حمّل هؤلاء بدوي الجبل جزءًا من المسؤولية عما آلت إليه أوضاع السكان! وفي مراجعة وقائع هذا النقاش، يمكن التوسع نحو قراءة المعطيات ضمن حرب البرقيات بين الطرفين، حيث نشط كل منهما في إرسال رأيه ومطالبه إلى دمشق وإلى السلطات الفرنسية!

وفي مكان آخر جرى الحديث عن رأي للبدوي بالتوجه الإسلامي لحكومة دمشق، فجاء الرد عليه من أوساط عديدة، ومن بينها تعليق لرئيسة تحرير جريدة "المستقبل" الطرابلسية ألفيرا لطوف، وجاء فيه:
"السيد محمد سليمان الأحمد بدوي الجبل نائب علوي في مجلس الشام وشاعر ومفكر كبير ومن دعاة العروبة والإمبراطورية العربية المعروفين، ولأقواله وزن. وقد قرأنا تعليق الكثيرين على الكتاب (كلام البدوي) وكلهم ينحون باللائمة عليه لأنه لم يذكر الحقيقة الواقعة الملموسة والتي يتحدث بها كل واحد منا، بل من قبيل التدليس واتباعًا لعادة مألوفة في هذه البلاد الشقية وهي مراعاة عاطفة الإخوان ولو كانت هذه المراعاة تودي إلى الخراب والدمار. والحق هو أن كل ما قاله بدوي الجبل واقعي محسوس، فحكومة الشام حكومة دينية سنية، وزعماء الشام دعاة دين ومذهب سنة وشرع سني، وأحزاب الشام تقصد من وراء كل هذه الغوغاء والضوضاء إنشاء وطن سني يتحكم بباقي الناس باسم الدين. فهل يُلام بدوي الجبل أو سواه إذا صرّحوا بالحقيقة الراهنة وطالبوا بحرياتهم الفردية الشخصية كما يطالب بها

أيضًا في حرية العقيدة والضمير. فهل يُقبل بهذا أمرؤ فيه ذرة من عزة النفس والكرامة؟ أما آن لأبناء الشام أن يفهموا أن إنشاء دولة سنية أو غير سنية في البلاد من رابع المستحيل؟ أما آن لهم أن يعرفوا أن القومية السورية الوطنية المدنية وحدها توحد الصفوف وتضمن الحريات وتكفل الاستقلال؟ أما آن لهم أن يفهموا أن من واجبهم احترام عقائد ومذاهب السوريين جميعًا، وأن أبناء سوريا لهم الحق في الحرية والحياة في وطنهم وبلادهم كسائر الناس؟".

هُزم خيار البدوي السياسي، لكنه لم يتراجع عن أداء واجبه الوطني، حتى حين خالف قناعاته. فقد تنقّلت سيرته بين أدوار متباينة: نائبًا في مجلس الشعب منذ 1937، ثم وزيرًا للصحة والدعاية والأنباء. وبعد غياب طويل في المنافي بين لبنان وتركيا وتونس وسويسرا، عاد العام 1962 ليجد في انتظاره خصومًا لا يعرفون الحوار، بل العنف، فكان ضحية مثالية لذلك الأذى، تاركًا وراءه سؤالاً مفتوحًا عن تفاصيل الجريمة التي أنهت حياته.

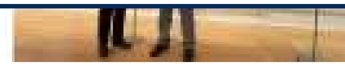
الأكثر قراءة



أليس أوزوالد وسالي روني: كاتبتان إرهابيتان



سهيل إدريس: تمرّ ذكرى مئوية ولادته في بيروت بصمت وخجل





"المدن" تنشر فصلًا من"قصر موال" للفرانكو-لبنانية دومينيك إده

تابعنا عبر مواقع التواصل الإجتماعي

إشترك في النشرة الإخبارية ليصلك كل جديد

اشترك معنا في نشرة المدن الدورية لتبقى على اتصال دائم بالحدث

جريدة إلكترونية مستقلة .. وفي رواية أخرى